تاريخ اللغة العربية في تشاد

محمد يوسف محمد

ملخص البحث

قامت في تشاد حضارة إسلامية عربية عبر ثلاث ممالك جعلت من العربية لغتَها الثقافية والدينية والإدارية وفي مُعاملاتها التجارية ومُراسلاتها الرسمية لأن تشاد عرفت العربية منذ أكثر من ألف عام ومع امتداد الإسلام إلى تشاد سنة ٤٦هـ/ ٦٦٦ م زادت اللغة العربية قوةً وانتشاراً وانتشارها أخذ زمناً طويلاً عبر تفاعل مجموعة من العوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لذا تعتبر العربية من أهم مكونات الهوية التشادية فهي أول لغة مكتوبة عرفتها تشاد وهي لغة التوصل بين جميع التشاديين ولازالت وتشاد هي الدولة الوحيدة التي ليست عضواً في الجامعة العربية وتعتمد العربية لغة رسمية بجانب الفرنسية في دساتيرها منذ حوالي أربعة عقود.

وتنبع أهمية البحث في التعريف باللغة العربية عبر تتبع مسيرتها الطويلة في تشاد إذ أننا لا يمكن أن نفهم الواقع الراهن لمكانة العربية دون معرفة جذورها في هذا البلد.

وما أن وطأ الاستعمار أرض تشاد ناصب العربية العداء لكنه لم يجد بداً من مهادنتها عبر تقبُّل الرسائل بالعربية وإصدار جريدة كوكب تشاد بالعربية لنشر فكره بين المثقفين بها، ثم عمل على اجتثاث العربية عبر غلق مصانع الفكر ونفي صُنَّاعه ورفع شان المثقفين بالفرنسية واحتقار المثقفين بالعربية وصد الذين يريدون مواصلة دراساتهم في الخارج، وفرض الفرنسية واغتيال العلماء والمفكرين وحرق الكتب والمخطوطات أو مصادرتها وإرسالها إلى فرنسا وبُعيد الاستقلال استمر تضييق الخناق على المثقفين بالعربية ثم انفرجت الأمور نتيجة لمطالب المواطنين وخوفاً من إذكاء نار الثورة فأصدرت الحكومات العديد من القرارات التي تصب في صالح العربية أشار البحث إلى سبعة عشرة منها.

أما انتشار العربية في تشاد فقد أسهمت فيه العديد من العوامل مثل هجرات العرب التي أدت إلى تمازج واسع النطاق وعزز الدين الإسلامي العربية ورفع شأنها، كما شجع الملوك العلم والعلماء فبنو الأروقة والمدارس والأوقاف وشجعوا البعثات العلمية كما أصبحت قوافل الحج قنوات تنساب عبرها السلع والأفكار وأسهم المعلمون والتجار في نشر العربية عبر بناء المدارس والمساجد وبالاحتكاك والتزاوج ونتيجة لذلك أفرز المجتمع علماء وشعراء خلفوا العديد من دواوين شعر لم يعرف عنها العرب الكثير وقد اهتم الأوربيون بمؤلفات التشاديين بالعربية منها ما نشره بالمر الألماني عام ١٩٢٦ وبصفة عامة تزخر المكتبات والمتاحف الفرنسية وكذا قصور وبيوت الملوك والسلاطين والعلماء من كتب التراث العربي الإسلامي التي ألفها تشاديون.

وقد اتبع البحث المنهج التاريخي الوصفي وقُسم البحثُ إلى ثلاثة مباحث وخاتمة فالمبحث الأول يتناول المراحل التاريخية للغة العربية أما المبحث الثاني فخصص للعوامل التي أسهمت في انتشار العربية كالهجرات والدين الإسلامي والبعثات العلمية إلى الدول العربية والحج والمعلمون والدعاة والتجار وكثرة المتحدثين بالعربية أما المبحث الثالث فافرد للدور الحضاري للعلماء في تشاد وينتهي البحث بخاتمة تركز على أهم النتائج والتوصيات.

المرحلة الأولى: الدخول والانتشار

تعتبر مملكة كانم١ أول مملكة إسلامية قامت في إفريقيا جنوب الصحراء وبسطت نفوذها السياسي والثقافي في السودان الأوسط، في الفترة ما بين عامي ٨٠٠ م – ١٨٩٤م٢، وأية دولة تقضي هذه المُدةّ الطويلة هي من غير شك دولة وطيدة الأركان ثابتة الدعائم، والحق إن مملكة كانم لم تبلغ ما بلغت من عظمة وقوة وسعة إلا بعد أن صارت دولة إسلامية ٣

ولم تكن لأهل كانم لغة واحدة تؤلف بين

كل القبائل حين جاءهم الإسلام ـ على يد عقبة بن نافع عام ٤٦ هـ/ ٦٦ م- فاعتنقوه وأقبلوا على اللغة العربية فصارت لهم لغة رسمية يتخاطبون بها فانتشرت في تلك البلاد مع انتشار الإسلام، فحيثما وُجد من اعتنق الإسلام وُجد من يتكلم العربية، وحتى أولئك الذين بقوا على وثنيتهم ولم يعتنقوا الإسلام عرفوا اللغة العربية بحكم مخالطتهم للمسلمين ولأنهم عاشوا في ظِل رعاية المسلمين الذين أحسنوا إليهم وكانت جميع العلوم الإسلامية في مساجد ومدارس الممالك التشادية : كانم، وباقرمي، ووداي تُدرَّس وتُناقَش وتُستوعب باللغة العربية كما كانت هي اللغة الرسمية في جميع دواوينها.

وخير مثال على تمكُّنهم من اللغة العربية قراءةً وكتابةً الرسائل التي وردت عن ملوك كانم إلى الدولة المصرية إبَّان حُكم المماليك في عهد السلطان الظاهر برقوق عام ١٣٩٢ م والتي أوردها القلقشندى في كتابه صبح الأعشى٤

واللغة العربية هي اللغة الشائعة والعامة التي يعتمد عليها الناس عند مخاطبة أفراد القبائل الأخرى هاجرين لهجاتهم المحلية، وهذا الوضع بدوره جعل تلك اللهجات تتأثر كثيراً باللغة العربية ويدخلها كثير من المفردات والمعاني والأساليب العربية مما أتاح للعربية الشيوع، فالتونسي عندما تحدث عن اللهجات في مملكة ودَّاي٥ عقَّب على ذلك بقوله (ولقلَّة مُكثي في بلادِهم وكثرة اللغة العربية لم احتج أن أتعلم لغتهم).

ومكانة اللغة العربية في مملكة كانم – برنو لم تكن بأقل من ذلك لأنها لغة التخاطب والتعامل التجاري بين جميع العناصر التي سكنتها، فقام على هذا الأساس مجتمع إسلامي متناسق عاش في أمن وصفاء ورخاء وخلَّف لنا تراثاً ورصيداً حضارياً مشرقاً وباقياً على مر الزمن ـ وهكذا أيضاً في مملكة باقرمي٦ ـ وبهذا يتضح أن اللغة العربية أصبحت وسيلة أساسية من وسائل التمدن والحضارة في هذه الممالك، ففي منطقة تشاد كشفت الآثار أن العربية هي أول لغة مكتوبة عرفتها تشاد، لذا يَرجَعُ الفضل للغة العربية تاريخياً في أنها اللغة التي أقام الشعب من خلالها ممالك متحضرة في تشاد وهناك إجماع بين الباحثين على اشتراك الممالك التشادية في قواسم عدة منها :

أولاً : اتخاذ الشريعة الإسلامية مصدراً لقوانينها وتشريعاتها ومحاكِمها، ومرجعاً لضبط شؤونها الاجتماعية.

ثانيا : جعل اللغة العربية اللغة الرسمية في كل الممالك التشادية، واستخدامها في الدواوين والمراسلات والتعليم.

ثالثا : إن اللغة العربية أصبحت اللغة العامة والشائعة التي يستخدمها أفراد الشعب في اللقاءات العامة والأسواق، ويبين ذلك أن هذه الممالك باستخدامها للغة العربية تمكنت من إقامة حضارة ظلت توجِّه شعوبها منذ زمن بعيد، ومازالت تُعدُّ المنبع الأصيل للشعب التشادي، ويؤكد هذا الإجماع مجموعة ضخمة من الوثائق والمخطوطات والمؤلفات التي خلَّفتها هذه الممالك الإسلامية، وواقع تشاد خير شاهد على ذلك، وكان دخول هذه اللغة إلى المنطقة قد تم بصورة طبيعية وبتدرج وثبات فلم تَسُود اللغة العربية في المنطقة نتيجة ثورة أو قرار سياسي مفاجئ وإنما تغلغلت في المجتمع بتفاعل عوامل اجتماعية وحضارية مما ضَمِن لها الرسوخ والبقاء، وبصفة عامة ارتقى التعليم في الممالك التشادية إلى درجة جعلت الرَّحَّالة الألماني غوستاف ناختيغال الذي زارها في سبعينيات القرن التاسع عشر يقول: والتعليم في هذه المنطقة لا يقل عمَّا هو موجود عندنا٧ ! – فأين التعليم في تشاد من التعليم في ألمانيا اليوم !؟

المرحلة الثانية : مرحلة الاستعمار الفرنسي

أولاً : إيجابيات الإدارة الفرنسية تجاه اللغة العربية

كان الحكام في عهد الاستعمار الفرنسي يتقبَّلون الرسائل التي تردهم باللغة العربية كما أصدروا جريدة كوكب تشاد العربية مُوجَّهة إلى المثقفين بالعربية قبل الاستقلال، واستمر اعتراف الإدارة الفرنسية بهذه المكانة للغة العربية فتم تعيين العديد من الأساتذة لتدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية التي أنشأتها فرنسا ٨، وفي الحادي عشر من اكتوبر سنة ١٩٥٥ أصدر: پ. ميبارد(P. MAILLARD) الحاكم العسكري في إقليم ودَّاي قراراً إدارياً رقم ١١٧ يقضي بتعيين ستة معلمين للغة العربية في المرحلة الإعدادية وفي عام ١٩٥٦ أصدرالأمين العام لأراضي ومَحمِيَّة أرض تشاد السيد ج ميرو(J.MEROT)، نيابة عن الحاكم الفرنسي العام لمستعمرات فرنسا ما وراء البحار في أفريقيا الاستوائية

الفرنسية قراراً يقضي بتخصيص رواتب شهرية لمعلمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية وكان عددهم تسع وثلاثون مدرساً، ثم وظفوا أساتذة للغة العربية في كافة الأراضي التشادية بعد سنة فقط من الخطوة الأولى حيث قررت الإدارة الإستعمارية الفرنسية بتشاد ابتداءً من الأول من يناير ١٩٥٦، ثم أُسست مدرسة مسجد الجامع الكبير بانجمينا في السنة التي أُغلقت فيها سلطات الاستعمار معهد الشيخ محمد عليش بأبَّشه، وفي السابع من يوليو عام ١٩٥٢ أعاد الأستاذ صلاح عِجيمِي افتتاح المعهد العلمي الذي أغلقته السلطات الاستعمارية بعد ١٣ سنة من إغلاقه٩

وبصفة عامة فإن تعيين أساتذة للغة العربية من قِبل الاستعمار لم يكن عفوياً وحباً تجاه اللغة العربية أو تحقيقاً لمتطلبات المجتمع التشادي وإنما كان استجابة للضغوط المتزايدة من المجتمع التشادي تجاه الاعتراف بالتعليم العربي والإسلامي ونُفُور سُكان شمال تشاد عامة وسكان مملكة ودَّاي خاصة من إلحاق أبناءهم بمؤسسات التعليم باللغة الفرنسية ١٠

ثانياً : سلبيات الإدارة الفرنسية تجاه اللغة العربية

لا خلاف بين المؤرخين في تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء - ومنها تشاد - أن اللغة العربية هي الحافظة لتاريخ هذه المنطقة والفضل في الدور الحضاري يعود لها دون شك إلا أنها برغم كل ذلك واجهت نكسةً ليست بالهينة بعد دخول المستعمر الفرنسي بسبب هشاشة التكوين الأكاديمي والفكري وضعف التواصل العلمي والثقافي مع الوطن العربي الذي عانى نفس الهجمة ! ولذا استطاع المستعمر فرض لغته في أقل من قرن لتُصبح لغة الإدارة والتعليم والتواصل الرسمي الخارجي، وقد عملت فرنسا ذلك لأنها تُدرك أهمية اللغة ودورها في ترسيخ الذات وتحقيق العديد من الأهداف والتي من أهمها ربط الدول التابعة لها مثل تشاد وغيرها بمركزها الاستعماري في الحاضر والمستقبل ربطاً لغوياً ؛ وبالتالي ثقافياً واجتماعياً وفكرياً وسياسياً واقتصادياً، وهذا واضح الآن بعد خروج المستعمر من تشاد، حيث حرصت النُخبة الفرانكفونية على إبقاء تشاد مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بها من حيث الثقافة والفكر - والاقتصاد - فقد حاولت الإدارة الفرنسية محاصرة اللغة العربية في زاوية ضيِّقة إضافة إلى تهميش الحلقات العلمية والخلاوي القرآنية مستعملة في ذلك وسائل عديدة واتبعت في محاربتها أساليب عدة وهي ١١ :-

أ - حظر استعمال العربية في كل المرافق الإدارية - من قبل الفرنسيين..

ب - فرض قيود صارمة لافتتاح مدارس عربية فأصدرت لذلك قرارات جائرة للحيلولة دون أداء المدارس العربية

ج - في عام ١٩٤٣ أُسس الشيخ عليش محمد عووضة أول مؤسسة للتعليم العربي النظامي وهو المعهد العلمي بمدينة أبشه فقام الفرنسيون بإغلاق المعهد العلمي ونَفوا مؤسسه إلى خارج البلاد بهدف إفشال تنظيم التعليم العربي في تشاد وكانت أول دُفعة للطلاب بلغوا سبعين طالباً وطالبة، ثم تزايد العدد بصورة أَقلقت الاستعمار الفرنسي لأن تزايد عدد المتعلمين بالعربية يعني تزايد وعي المجتمع١٢ - وهذا ما لا يريده الاستعمار الفرنسي - ! والغريب أن فرنسا نفسها تعلِّم أبناءها اللغة العربية لخدمة بلادهم، وتمنع التشاديين من تعلم اللغة العربية ١٣ وكان عدد الطلاب التشاديين في الأزهر قبل عام ١٩٤٦ م لا يتجاوز ١٥ طالباً، لكن سرعان ما ارتفع العدد إلى ١٥٠ طالباً بعد أن أغلقت السلطات الاستعمارية المعهد العلمي في أبَّشَه ١٤

هـ - منع الطلبة الأفارقة الذين يريدون مواصلة التعليم في الدول العربية سواء في شمال إفريقيا أو مصر أو الحجاز من السفر إليها إلا بعد تقديم طلب إلى الإدارة الفرنسية قصد الترخيص لهم بالسفر، وغالباً ما تُواجه الطلبات بالرفض ! ولكن هذا الرفض لم يمنع بعضهم من الخروج من البلاد بطريقة أو بأخرى والالتحاق بالجامعات الإسلامية مثل جامعة الأزهر والزيتونة في تونس ومدارس الحجاز – واليمن -.

و - غرَسَ الاحتلالُ قبل رحيله العداوة للثقافة الإسلامية وأبعد المثقفين بها عن الساحة ورفع من شأن الثقافة الفرنسية وجعل المثقف بها هو المثقف الحقيقي ، وأما المثقف بالثقافة الإسلامية العربية فيُعد بمثابة أُمِّي ومن هنا أبعدوه عن المشاركة الفاعلة في العمل السياسي، ومكانه المناسب هو المسجد فقط !

ز - سعت فرنسا لاجتثاث جذور الثقافة الإسلامية واللغة العربية بإتباع سياسة فرِّق تسُد وحظر الدعوة الإسلامية في الجنوب الوثني واتخذت إجراءات مشددة لمراقبة تحركات

التشاديين من الداخل إلى الخارج خاصة على الحدود بين سلطنة وداي مع دارفور في السودان وذلك من خلال الجهاز الإستخباري الذي كُون خصيصاً لمراقبة المسلمين.

ح - ففي عام ١٩١٢ م حاولت فرنسا تعيين بعض الأئمة بالمساجد ومنحتهم رواتب شهرية وحوافز عينية في شكل مواد غذائية لإحداث شُروخ وسط رجال الدين ولعزل الشعب التشادي من الارتباط بالدول الإسلامية خاصة مصر والسودان.

ط. شدّد الجهاز الاستخباري الذي ذكرناه على مراقبة خروج ودخول التشاديين عبر الحدود وتقديم معلومات عن العلماء والطلاب والتجار النشيطين والمسافرين عبر السودان لأداء فريضة الحج أو الدراسة وكان كل تاجر يسافر إلى الجنينة بالسودان يكون عُرضة للتحقيق والمساءلة ويوضع لمدة خمسة عشر يوماً يوم في السجن.

ولما أحست الإدارة الفرنسية بفشل سياساتها الرامية إلى الفرنسة عبر المؤسسات التعليمية، لجأت إلى أساليب أخرى لمحاربة الثقافة الإسلامية تمثلت في اغتيال العلماء وحرق مؤلفاتهم وكتبهم لتجفيف روافد الثقافة الإسلامية المناوئة للثقافة الفرنسية الغربية.

ي . اغتال الفرنسيون أكثر من أربع مئة عالم من كبار العلماء في أبشه في شهر نوفمبر عام ١٩١٧ م في مذبحة الكُبكُب (الساطورCOUP COUP) الشهيرة ثم جمعوا كتبهم ومخطوطاتهم وأحرقوها وأرسلوا بعضها إلى المتاحف الفرنسية واحتفظوا بالبعض الأخر في مخازن محلية بمدينة أبشه لتسليمها للسلطان الجديد المرتقب بعد أن قاموا بنفي السلطان دُود مرة(DOUDE MOURA) إلى مدينة فورتلامي وقد دُفن هؤلاء العلماء في مقبرة جماعية بمنطقة أم كامل وهو وادي داخل أبشة١٥ أما البقية الباقية من العلماء فهاجرت فراراً بدينها إلى دول الجوار، ففي السودان مثلا تكونت حلقات علمية من هؤلاء العلماء، أمثال الشيخ عبد الرحيم السنوسي فى الجنينه، والشيخ عبد الباقى في الأبيض، والشيخ كرسى في النهود وغيرهم١٦ هكذا كانت اللغة العربية لغة العلم والحضارة في ـ تشاد ـ قروناً طويلة إلى أن جاء المستعمر الفرنسي ووجه إليها سهامه ليحل لغته محلها حتى يتم له القضاء على الشخصية - التشادية عبر اقتلاع الثقافة الإسلامية العربية - وقتل روح الأصالة في نفوس أهلها١٧

المرحلة الثالثة: مرحلة الاستقلال والصحوة

كان المثقف باللغة العربية في الأيام الأولى من الاستقلال مصيره الإيداع في السجن خاصة القادم من الخارج بمجرد وصوله تُجرى له عملية غسيل دماغ ويُواجِه في السجن جميع أنواع التعسف والتنكيل التي قد تؤدي به إلى الموت في السجن أو يخرج منه بعد أن يفقد عقله أو جزءاً كبيراً من آماله، وبعد ذلك قد يوظف في عمل بعيداً عن تخصصه أو في درجة أقل من مؤهَّله وفي كِلتا الحالتين الهدف هو خلق حالة نفسية من شأنها شل أداءِه في محاولات لإثبات ضعفه ليُصبح محلاً للتقارير الكاذبة والتشهير به وبيان فشله ! كل ذلك يتم عن قصد وسوء نية، وبهذا استطاعت الإدارة الحكومية عن طريق ممثليها مثقفي اللغة الفرنسية أن يخلُقوا نوعاً من الانطباع السيئ المُوجَّه ضد مثقفي اللغة العربية ومفاده أن هؤلاء لا يعرفون إلا الخوض في المسائل السياسية التي كانت محرمة عليهم في تلك الآونة، ويعد الحديث فيها تطاولاً غير محمود العواقب١٨

واستجابة لتطلُّعات المواطنين وتفاديا للأزمات السياسية التي يُمكن أن تحدث أصدر الرئيس أنقرتا تومبل باي في سنة ١٩٦١ قراراً يُعين فيه السيد : عيدي عَكَاري١٩ مديراً للتعليم العربي بوزارة التربية وصار بذلك أول مدير للتعليم العربي في تشاد وفي عام ١٩٦٢ صدر مرسوم رئاسي رقم ١١٧ يقضي بان تُدرس اللغة العربية مُجردَّةً عن التربية الإسلامية مراعاة لاعتبار علمانية الدولة التي لا تسمح بتدريس الدين في المدارس الحكومية التشادية وتلى المرسوم تأسيس مفتشية التعليم العربي بوزارة التربية الوطنية عام ١٩٦٣ م٢٠ وفي عام ١٩٦٤ وقَّع الرئيس تومبل باي على مرسوم رقم ٧٢ يُحدِّدُ في المادة الرابعة منه أن الفرنسية لغةً رسميةً للدولة أما العربية فلها أهميتها٢١،وفي ٢٢ يونيو أسست المعارضة التشادية لنظام تومبل باي ثورة فرولينا بمدينة نيالا عاصمة إقليم دار فور السوداني، ورسمت برنامج سياسي من ثماني نقاط من بينها : الاعتراف باللغتين العربية والفرنسية لغتين رسميتين للبلاد٢٢ وفي العام نفسه أي١٩٦٦ أصدر الرئيس التشادي تومبل باي مرسوماً يعترف فيه باثنتي عشرة مؤسسة للتعليم

العربي في تشاد٢٣، وفي عام ١٩٧٠ تبعه بقرار آخر يعترف بالمدارس والمؤسسات الدينية العربية الخاصة، ولذا تم اعتماد منحة مالية من الدولة لهذه المؤسسات!

وفي عام ١٩٧١ صدر مرسوم رئاسي رقم ٢٢٥ ينظم التعليم الخاص في تشاد، والمادة الثانية منه تضع التعليم الخاص تحت إشراف وزارة التربية الوطنية (من حيث المناهج، والتأهيل، والمعلمين) لأن معظم المدارس العربية مدارس أهلية.

ثم جاءت اتفاقية الخرطوم بين هبري والرئيس مالوم في الحادي عشر من أغسطس ١٩٧٨ م والتي تحدد في المادة الثانية إن الفرنسية والعربية متساويتان٢٤، وأكد ذلك الميثاق الأساسي وفي عام ١٩٨٢ ورد في الميثاق الوطني أن اللغة العربية مساوية للغة الفرنسية ٢٥ وفي السادس من مايو١٩٨٧ أصدر هبري مرسوماً رئاسياً رقم ٠٦٠ اعترفت فيه لأول مرة في تاريخ تشاد بالشهادة الثانوية العربية التشادية ونُظمت الامتحانات تطبيقاً للمرسوم في السنة نفسها٢٦ وجلس حوالي ١٥٠ طالباً وطالبة للشهادة الثانوية العربية في العام الدراسي ١٩٨٦-١٩٨٧ ونجح منهم حوالي سبعين.٢٧ أيضاً تم افتتاح قسم للغة العربية بمعهد المعلمين العالي عام ١٩٨٦، وفُتح قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة تشاد ٢٨ فاستوعب القسم معظم الناجحين في الشهادة الثانوية العربية التشادية وبعضهم واصل دراسته خارج تشاد وفي الثامن عشر من نوفمبر ١٩٨٩ تم تأسيس مفتشيَّتَين للتعليم العربي إحداهما للابتدائي والأخرى للثانوي بقرارين تباعاً الأولى قرار رقم ٢٤٢ والثانية قرار رقم ٢٤٣ وفي عام ١٩٩٢ صدر مرسوم رئاسي الغى بموجبه مفتشية التعليم العربي بوزارة التربية الوطنية ووَّحدها مع مفتشية التعليم الفرنسي، وفي العام التالي أي ١٩٩٣ أقر المؤتمر الوطني المستقل (CNS) تدريس اللغة العربية في جميع المدارس الحكومية، وقد عزز ذلك مرسوم رئاسي آخر رقم ٢٠٢ لعام ١٩٩٥ يقضي بتدريس اللغة العربية بصورة إجبارية في كل المؤسسات التعليمية الحكومية والخاصة، وقد تُوِّجت كل هذه الجهود بالاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية بنص دستور ٣١ ـ مارس ١٩٩٦٢٩ ـ في المادة التاسعة منه وفي العام ١٩٩١ أسس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمساعدة بعض المثقفين بالعربية جامعة الملك فيصل التي قامت بدور استراتيجي حيوي أحدث نقلة كبيرة في التعليم العربي، فقد أصبح الآلاف من خريجيها في مختلف أروقة الإدارة، بل العديد منهم تقلدوا مناصب دستورية عالية في الدولة كوزراء وبرلمانيين ومستشارين في رئاسة الوزراء ورئاسة الجمهورية... واستمر تطوُّر اللغة العربية إلى أن توُّج بالاعتراف بها كلغة رسمية في البلاد في أول دستور باختيار مباشر من الشعب وهو دستور ٣١ مارس ١٩٩٦، لكن الاعتراف بها ظل إسمياً أو شكلياً ولم يُترجم إلى أرض الواقع٣٠، أما الآن فقد تحسنت وضعية المثقفين باللغة العربية فأخذوا طريقهم نحو الوظيفة العامة ووجدوا مكانتهم نسبياً كزملائهم الذين تعلموا بالفرنسية٣١.

العوامل التي أسهمت في انتشار اللغة العربية في تشاد

أولاً: الهجرات العربية إلى تشاد :

لم تكن القبائل العربية حتى في الجزيرة العربية لتتحاجز أو تتدابر ولم تكن الحدود بينها قاصمة قاسية، وكانت هناك منافذ كثيرة تصل بينها وتتيح لها التواصل والتقارب وأن ينسكب بعض منها في بعض وينتج عن هذا الالتقاء والانسكاب مجموعات جديدة تجمع بين الأصلين وتنفرد عنهم - وهذا ما حدث في عدة أجزاء من أفريقيا - ومنها تشاد - ٣٢ فمنذ قديم الزمان والجزيرة العربية تفيض على جيرانها بمدد إنساني غزير ولقد كان نصيب الحبشة والسواحل الشرقية بصفة عامة وافراً ومتتابعاً وقد ساعد على هذا ضِيق البحر الأحمر في المكان المُسمى باب المندب٣٣ ولقد عرف العرب منطقة حوض بحيرة تشاد لحوالي ستة آلاف سنة قبل الميلاد، واستوطنوا فيها شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً حتى وصلوا مناطق الغابات والأدغال٣٤ ولعل الهجرة التي نتجت عن سد مأرب أبرز الأمثلة على ما كان من اندماج وتواصل ولعل قصة الأزد بنوع خاص أقوى الهجرات تمثُّلا لحركة التمازج القبلي٣٥

لقد دخل العرب بشكل قوي التاريخ منذ القرن السابع الميلادي الأمر الذي أدى إلى تغيير خريطة العالم القديم اللغوية والثقافية والدينية والعرقية، وكان ذلك كله بعد بزوغ الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة وتسجيلها الانتصارات من مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وتوحيدها العرب المشتتين لأول مرة في التاريخ !ـ ثم ـ انطلاقتها المعروفة بهم في آفاق المعمورة

شمالاً وشرقاً وغرباً فيما عُرف بالفتوح الإسلامية لينتشر اللسان العربي لسان الوحي الإلهي المبين في أرجاء واسعة٣٦ . ومنها تشاد . فقد وصلت طلائع الصحابة رضي الله عنهم بقيادة عقبة بن نافع إلى منطقة كَوَّار شمال مملكة كانم في عام ٤٦ هـ / ٦٦٦ م٣٧ كما أسلفنا والإسلام دين لطيف ينتقل مع الريح لا تقف في سبيله الحواجز الرملية والجبلية أو المائية، وبقوته الذاتية وفضائله التي لا تُعد ولا تُحصى عبَر الصحراء وانتشر نورُه في بلاد السودان٣٨

وكانت ضخامة آثار الفتوح موضع دهشة المؤرخين وإعجابهم نظراً لرسوخ قواعد هذه الظاهرة ورسوخ آثارها في كل أرجاء حلت فيها سيادة الإسلام، وكان من أبرز هذه الآثار ذلك المزج العرقي واسع النطاق بين العرب والشعوب التي افتُتحت بُلدانها ودخلت في دين الله أفواجا ! وكان الاستعراب نتيجة طبيعية لتلك السيادة وذلك المزج، والاستعراب المقصود هنا كان استعراباً لسانياً ودينياً وثقافياً شاملاً وكان اندماجاً كلياً في بُوتقة العروبة بمعناها الحضاري والثقافي والإنساني لا بمعناها الإثنلوجي العِرقي التعصبي البغيض الذي قد يذهب إليه بعض دعاة التعصب وأصحاب الأفق الضيق٣٩

ومن أهم موجات الهجرات العربية إلى تشاد ما حدث أثناء الفتنة الكبرى مع قيام الدولة الأموية فقد أصبحت بلاد النُوبَة والمناطق المُوالية لها في السودان الأوسط، ملاذاً تلجأ إليه القبائل العربية وذلك عن طريق مصر ووادي النيل والبحر الأحمر ودرب الأربعين وفَزَّان٤٠ وفي القرن الأول الهجري السابع الميلادي قام الجيش والحاكمون الأمويون بهجرة إلى شمال أفريقيا لا يقل عددهم عن مائتي ألف مقاتل استوطنوا العواصم والمدائن والقرى واغلبهم ينتسب إلى القحطانيين، وقد نزح قسم منهم إلى الأندلس وبقي جزء وافر في إفريقيا ولا سيما القيروان٤١ ـ ثم انسابت حركتهم نحو بحيرة تشاد ـ وفي عهد عبد الملك بن مروان هاجر بعض الأمويين إلى إفريقيا فراراً من ظلم الحجاج بن يوسف الثقفي ٤٢ هكذا توالت الهجرات العربية إلى ـ تشاد ـ وطبعت البلاد بطابع لا يزال مستمراً إلى اليوم٤٣، وقد كانت الهجرات تدخل بلاد النوبة والسودان الأوسط ٤٤ دون أن يستشعر الملوكُ أي خطر فقد كانت هجرات مُسالمة لا تعدوا جماعات بريئة تتلمس الإذن بالمقام وتُخالط السكان ولا تُسيء إليهم ولا تُقلق بال الحاكمين وكانوا يتركونها وشأنها لا يتعرَّضون لها بسوء وتُتابع حياتَها في حرية وهدوء وطمأنينة وهناك من الشواهد ما يدُل على أن سقوط الدولة الأُموية وقيام الدولة العباسية قد صَحبه فرار كثيرين من بني أُمية وأنصارهم وإقامتهم ببلاد النوبة والسودان الأوسط وكان هؤلاء اللاجئون عامِلاً هاماً في نشر الإسلام ـ واللغة العربية. بين أهل هذه البلاد٤٥ أما الهجرةُ التي قام بها الهلاليون في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي إلى إفريقيا، والتي تمثل الطور الأخير والمشهور من اغتراب العرب٤٦ ـ نحو أفريقيا .

ومن الحقائق التي يذكرها بعض قادة العرب أنهم جاءوا عن طريق مصر إلى تشاد واستوطنوا مناطق كَلاعيتْ . وكَدَمَة وَوَارَا وابَّشَة . وأَتيَا البَطْحاء وأُمّ حَجَرْ وغيرها ٤٧من الهجرات العربية المهمة التي دخلت الشمال الأفريقي في أوائل المائة الخامسة للهجرة هي هجرة قبائل بني هلال ـ السالفة الذكر ـ والمعقل وبني سليم وغيرها وقد هاجرت كثير من هذه القبائل إلى مناطق شمال التشاد والنيجر ومالي وموريتانيا٤٨ أيضا من الهجرات العربية التي اندفعت إلى النوبة والسودان الأوسط في العصر المملوكي الأول أو البحرية عام ٦٤٨ ـ ٧٨٤هـ الموافق ١٢٥٠ ـ ١٣٨٢ م فهجرة جُهينة وهي واحدة من خليط من القبائل العدنانية والقحطانية وبطونها المختلفة التي انتشرت في السودان الأوسط لتعزز من وجود القبائل العربية الأخرى التي وفدت إلى المنطقة في فترات سابقة وانتشرَ بانتشار هذه القبائل الإسلام واللغة العربية واختلط العرب بالسكان المحليين ثم انتهى بهم المطاف إلى الامتزاج وإقامة الممالك الإسلامية ٤٩ وتُفيد المصادر أيضاً أن عرب التُنجُر هاجروا من تونس في القرن الرابع عشر الميلادي واتجهوا صوبَ الجنوب واخترقوا تشاد حتى وصلوا إلى دار فور بالسودان بينما جاءت جاليات أخرى من مصر واستقرت في هذه البِقاع واستطاعت مع مرور الأيام أن تُكوِّن ممالك إسلامية فقد أثبتت الدراسات التاريخية أن هناك أُسراً معينة ترجع بأصولها إلى أرومة عربية، تؤكد ذلك بعض المأثورات الشعبية التي ترويها الأجيال بعضُها عن بعض تحكي عن كثير من شعوب الغرب الأفريقي . والوسط . بأنهم من أصول عربية جاءت إلى المنطقة وامتزجت بأهلها عن طريق التصاهر ونتج عن ذلك ظهور عائلات أسست ممالك مثل السيفيون في مملكة كانم والعباسيون الذين أسسوا مملكة وداي، وهذه الروايات

مهما كان نصيب الخيال فيها فإنها يبقى فيها شيء من الصحة يمكن الاعتماد عليها في تأكيد تلك الصلات والروابط بين شعوب القارة شمال الصحراء وجنوبها٥٠ هكذا اختلط العرب بالزنوج تزاوُجاً وتجاوُراً حتى بَعُد ما بينهم وبين عرب الجزيرة بشيء من سُمرة البشرة ودكنة اللون، لكنهم ظلوا بلغتهم العربية القريبة من الفُصحى يقارعون اللغات الأخرى على مر السنين والأيام كما ظلوا يتمسكون بأصولهم العدنانية والقحطانية الصحيحة يأبون الاندثار الكلي والذوبان الشامل في تلك الشعوب الإفريقية الحامية الزنجية، فتشكلت منهم في منطقة حوض ـ بحيرة تشاد ـ الأمة التشادية منذ ذلك التاريخ يوم أن صاغ العرب بأصولهم العريقة ولسانهم الفصيح تراث لغة الضاد في هذه الديار ووسموه بميسم العروبة من أبناء قحطان وعدنان منذ قرون مضت قبل الإسلام ، ثم تعزز ذلك الميسم العربي بشكل أكثر وأوسع بدخول الإسلام المبكر في تشاد وحتى الآن٥١ هكذا استمرت الهجرات العربية من الجزيرة العربية إلى أفريقيا – قبل– الفتح الإسلامي وحتى استقرار الأمور في الجزيرة العربية وإنشاء المملكة العربية السعودية وظهور البترول حيث كانت الأوضاع الاقتصادية في مصر ـ قبل استغلال بترول الخليج ـ أحسن حالا من ـ الجزيرة العربية ـ٥٢.

ثانياً : الدين الإسلامي :

إذا ارتبط الدين بلغة من اللغات يرفع شأنها وتزداد انتشاراً بين الناس فهناك قبول وانتشار واسع للغة العربية في أفريقيا بسبب الدين الإسلامي٥٣ فمع ظهور الإسلام ازدادت وشائج الاتصال العربي الأفريقي في مختلف جوانب الحياة الروحية والمادية وجعل لهم من توجيهاته وقيمه ثقافة واحدة متطورة متماسكة وكلما ازدادوا تمسُّكاً بها ازدادت علاقتهم الثقافية والاجتماعية وغيرها قوةً وانتشاراً وهكذا قامت مع الفتح الإسلامي وبسببه روابط مع إفريقيا شمالها وجنوبها وشرقها وغربها روابط دينية وثقافية عميقة وثابتة٥٤ واللغة العربية ارتبطت بشعائر الإسلام وعباداته وغدت جزءًا أساسياً من لغة المسلم اليوميّة لأنَّها ملازمة للفرائض الإسلاميَّة فقد أوجب الإسلام أن تكون إقامة الصلاة وتلاوة القرآن وترتيله والأذان ومناسك الحج والدعاء وسائر الشعائر الدينيَّة ونحو ذلك باللغة العربية كما فرض على المسلمين في مختلف الأقطار والأمصار تعلُّم آيٍ من القرآن الكريم وحفظها والإكثار من تلاوته ويتحتم على الإمام والواعظ إتقان اللغة العربية لكي يفهم أحكام القرآن والسنَّة ويُحسن شرحها وتفسيرها، ومعروف أن أحكام القرآن وتعاليمه لا يصح أن تؤخذ إلاَّ من نصه العربي ولا تعَدُّ ترجمته إلى أيِّ لغة إلاَّ تفسيرًا لمعانيه، فلا تُستنبط أحكامه منها، لكل هذا ارتفعت منزلة اللغة العربية عند المسلمين وتفقَّه المختصون في دراسة علوم العربية ووضع قواعدها وألَّفوا فيها عددًا ضخمًا من نفائس الكتب٥٥

وقد كان للإسلام الدور الأبرز في انتشار اللغة العربية ؛ حيث سارت العربية مع الإسلام جنبًا إلى جنب وحلَّقت معه أينما حلَّ وحيثما ارتحل فاستُخدمت العربية في أداء العبادات والشعائر الدينية وازداد إقبال معتنقي الإسلام على تعلمها رغبة في التعمُّق في الدين عن طريق الرجوع لمصادره الأساسية وقد أدى هذا الارتباط الوثيق بين اعتناق الإسلام وتعلُّم العربية إلى أنه جعل للعربية درجة من الانتشار في كل المناطق التي تضم جماعات مسلمة ولم يتوقف الأمر عند إلمام مسلمي أفريقيا باللغة العربية للقيام بالشعائر الدينية أو إتقان بعضهم لقواعد العربية وعلومها بل انتشرت العربية في كثير من الأقطار الأفريقية حتى استُخدمت بين المجموعات المختلفة القاطنة في هذه الدول كلغة تواصل مشتركة.٥٦ وقد أقبل – التشاديون – على تعلُّمها إقبالاً كبيراً فهي لغة الدين علاوة على كونها لغة العلم والتاريخ والحضارة وبها كُتب تاريخ أفريقيا ـ جنوب الصحراء ـ ولم يكن يُكتب من قبل لأن الأفريقيين – في هذه المناطق – لم يكونوا على علم بالكتابة قبل دخول الإسلام والعربية إليهم، وحيثما انعدمت الوثائق العربية يحيط تاريخ القارة الغموض ٥٧! ومن الأمور التي أسهمت في انتشار الإسلام واللغة العربية في تشاد المبادئ والقيم التي يتساوى فيها المسلمون جميعاً لا فضل لواحدٍ منهم على الآخر مهما اختلفت ألوانهم وألسنتهم وأجناسهم وتفاوتت مراتبهم في الجاه والسلطان قال تعالى : إن أكرمكم عند الله أتقاكم (الحجرات الآية ١٣) والإسلام يدعوا إلى حُسن الجِوار ومُعاملة الجار بالحُسنى ورعايته ولو كان على غير دين الإسلام٥٨

ثالثا : الموقع الجغرافي

تمثل تشاد جسراً يربط بين جناح أفريقيا العربي المسلم والجناح الآخر الوثني المسيحي٥٩، فهي تقع في محيط

عربي يحدها من الشمال والشرق ليبيا والسودان كما أن كلا من مصر والجزائر وإن لم يكن لهما حدود مباشرة مع تشاد إلا أن حدودهما مع تشاد لا تبعد أكثر٢٠٠-٣٠٠ كم وهذا التماس الجغرافي أتاح انسياب القبائل العربية منذ القدم كما أسلفنا، وتشاد اليوم لا تستطيع أن تتنكر لمحيطها الطبيعي الجغرافي ولا لعلاقات الجوار والتعاون التي تجمعها مع البلاد العربية، فضلا عن الوشائج الاجتماعية والثقافية التي تربطها مع قبائلها وشعوبها ومجتمعاتها.٦٠

رابعاً : البعثات العلمية إلى الدول العربية :

ضَرب التشاديون أكباد الإبل في بعثات علمية إلى مراكز الإشعاع الحضاري ولا زالت هذه البعثات مستمرة ولعل من أعظم الأعمال في هذا الصدد ما قام به الملك دونامه دبلامي بتأسيس مدرسة لأبناء وطنه في مصر لكي يتسنى لطلاب العلم من مملكة كانم وغيرها من البلاد الإفريقية تلقي العلم على يد العلماء الكبار في مصر ويواصلوا بعد ذلك تعليمهم في الأزهر، وقد ذكر المقريزي هذه المدرسة فقال: هذه المدرسة للمالكية... كان الكانم من طوائف التكرور لمَّا وصلوا إلى مصر في سنة بضع وأربعين وستمائة قاصدين الحج دفعوا للقاضي علم الدين بن رشيق مالاً بناها به ودرَّس بها فعُرفت به وصار لها في بلاد التَّكرور سُمعة عظيمة وكانوا يبعثون إليها في غالب السنين المال٦١ هكذا حرص ملوك الممالك الإسلامية التشادية على تدعيم علاقاتهم الثقافية في الدول الإسلامية العربية من خلال بناء المدارس والبيوت والأروقة التي ينزل فيها الطلاب المهاجرون من تلك الممالك لطلب العلم في تلك البلاد يقول القلقشندي: (إن أهل كانم بنو مدرسة للمالكية بالفسطاط ينزل بها وفودهم) ولم يقتصر بناء المراكز العلمية على السلطان دونامة بن دبلامي (ت ١٢٥٩) سلطان كانم الذي بنى مدرسة ابن رشيق في القاهرة، فقد كان السلاطين من بعده يبعثون إليها في غالب السنين المال كما أنه قام ببناء (رواق) بالقاهرة لنفع الواردين من مواطنيه من الطلاب والعمال والحجاج، وقد سارت مملكة وداي على نفس المنهج حيث نجد في الأزهر رُواق صُلَيح وهو من أعمال السُّلطان جودة (١٧٤٧ – ١٧٩٥)) وهو الذي بنى الأوقاف بمكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس وبنى الرواق في مصر٦٢. وبصفة عامة فإن الدارس لتاريخ الأزهر والقرويين – والحجاز واليمن – ومعاهد الجزائر وطرابلس وتونس و ليجد المئات بل الآلاف من الطلاب الأفريقيين الذين التقوا بهذه المراكز العلمية فتزودا بالمعرفة ودرسوا الثقافة العربية والإسلامية وغيرها من فنون المعرفة ثم رجعوا إلى أوطانهم محملين بعلومهم وما يختارونه من الكتب فينشرون العلوم الإسلامية واللغة والثقافة العربية بين ذويهم وأهليهم ويزيدون بذلك هذه العلاقات الثقافية انتشاراً واستقراراً، وإن كثيرا من هؤلاء يواصل دراساته في هذه المراكز فينال الدرجات العالية التي تؤهله للقيادة والريادة في بلاده ولا يزال الأزهر قِبلة طلاب العلم قائم بهذا الدور٦٣

خامساً : قوافل الحج :

كان للحج ولا يزال دور كبير في نقل اللغة العربية والثقافة الإسلامية إلى - تشاد - وذلك عن طريق جلب الكتب في الفنون الإسلامية والعربية، و بعض الحجاج يبقون في الحجاز بعد الحج للدراسة وتحصيل المعرفة والعلم ثم يرجعون لنشر العلم الذي حصلوا عليه، وكان بعضُ الأُمراء والملوك عندما يحُجُّون ينقُلون إلى بلدانهم علماء لتعليم شعوبهم الإسلام واللغة العربية، وبهذه الطُّرق وصلت كتب كثيرة إلى أرض إفريقيا وبخاصة - وسطها - مما ساعد على انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية وأصبحت اللغة العربية هي لغة الدين والثقافة والحياة الإدارية، وأصبح الحرف العربي هو الحرف الذي تُكتب به أشهر اللغات الإفريقية وسرعان ما شكَّل الإسلام عادات السكان وطوَّر أحوالَهم حتى صار مستوى التفكير والثقافة في غرب إفريقيا – ووسطها – يُقارَن بنظائره أو يفُوقه، ومعروف أن رحلات الحج قامت بدورٍ كبيرٍ في استمرارية التواصل الثقافي بين بلاد المشرق العربي وبلاد السودان - الأوسط - والغربي ولقد ظلت قوافل الحج قنوات اتصال تنساب عبرها السلع والأفكار ولقد كان لحجاج السودان الغربي - والأوسط - المتجهون شرقاً يشعرون بأهمية إطلاعهم على كل ما يجري في تلك البقاع من أحداث وما يدرس فيه من علوم إضافة إلى الاطلاع على ما احتوته تلك الربوع من آثار للصحابة الكرام والعلماء وبالتالي اقترنت رحلات الحج بالعلم فكان الحجاج يعودون وقد أدوا فُروضهم الدينية ونَهلوا من صُنوف العلم المختلفة وتلقوا إجازات وتحصلُّوا على ما لم يطلعوا عليه من قبل من تأليف علمية في مختلف المجالات ٦٤.

سادساً : المعلمون والدعاة :

قام المعلّمون والدعاة بدورٍ هام في نشر الإسلام والثقافة العربية وذلك منذ طلائع الفتح الإسلامي إلى الشمال الإفريقي . ثم إلى وسط أفريقيا أي تشاد وما حولها – وقد سار هؤلاء الدعاة على نفس الدروب التي خطتها سَنابكُ خُيول الفتح، بل تجاوزوها جنوباً، كما تحوَّل أهالي بلاد السودان أنفسُهم إلى دُعاة يدعون للإسلام ويرسِّخون ثقافته مما أعطى للدعوة سِمةً محلية جعلها مقبولة من أبناء جِنسهم حيث سهَّلت الاتصال والمخاطبة والتفاهم فكوَّن الدعاةُ والعلماءُ فئةً هامةً حظِيت برعاية الحُكَّام وقدَّم هؤلاء الحكام للعلماء الهدايا والعطايا الوفيرة التي شملت أشياء ثمينة كالعَقارات والأراضي الصالحة للزراعة وغيرها٦٥ هكذا انتشر الإسلام – واللغة العربية – على يد الدعاة والمعلمين الذين وهبوا أنفسهم لنشر هذا الدين بين سكان القارة وهؤلاء الدعاة لا يمثلون فئة مُرسلة من قِبل هيئة إسلامية أو حكومة مركزية بل كانوا يقومون بهذا العمل بدافع الواجب الديني ورغبة منهم في كسب رضى المولى جل وعلا ، لذا لم تكن هناك هيئة تُشرف على نشاطهم وكانوا يجُوبون بلاد أفريقيا من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب ثم الوسط زادُهم الإيمان ورفيقهم القرءان وعونُهم الصبرُ الجميل على مكابدة المخاطر وهدفهم نشر كلمة التوحيد بين تلك الأُمم التي تعيش على الفِطرة والصفاء ولم يكن الدعاة يمثلون فئة معينة بل منهم التاجر يتخذ من التجارة وسيلة لكسب العيش الحلال ثم يقوم بأداء رسالته فهو يبيع سلعةً وينشر ديناً باعتباره تاجراً يستطيع الاتصال بجميع طبقات الشعب بحكم مهنته وعن طريق هذا الاتصال يستطيع أن يدعوا من يتوسم فيه قبول هذا الدين٦٦ كما لعبت الطرق الصوفية دوراً هاماً في نشر الإسلام والثقافة العربية في السودان الغربي . والأوسط . وقد أثبتت بعض المصادر التاريخية عن توافد شخصيات مشهورة بالورع والتقوى إلى بلاد السودان الغربي . والأوسط . ومما يميز رجال الطرق الصوفية ومكَّنهم من القيام بدورهم الدعوي بكفاءة أنهم يميلون إلى سُكنى القرى و النُّجوع بينما يميل التجار إلى الاستقرار بالمدن، وإذا كان التجار يسعون إلى الربح فرجال الطرق الصوفية لا يكترثون بالمال ولا يسعون منه إلاَّ لما يسد رمقهم ويكفيهم ذُل السؤال وهذا الذي جعلهم يُلقَّبون بالفُقراء وإذا كان نشاط المُهاجر أو التاجر يطيب أن يكون له بالنهار فإن نشاط الطرق الصوفية يكون بالليل٦٧

سابعاً : التجار:

كان للتجار المسلمين دورهم في ربط الصلاة بين العرب في المشرق العربي وشمال أفريقيا وبين شعوب بلاد السودان الغربي . والأوسط فعن طرقهم انتشرت الثقافة العربية والإسلامية، ويشير المستشرق توماس أرنولد أن التجارة والثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا . ووسطها . مرتبطان كل الارتباط، فقد انتشر الإسلام في كل مكان وصل التجار المسلمون إليه، ذلك أن التاجر المسلم كان داعية إلى دينه بطريقة مباشرة من خلال ممارسة الدعوة إلى الإسلام أو بطريقة غير مباشرة نتيجة اختلاطه وتعامله مع التجار غير المسلمين أو مع المتعاملين معه من المستهلكين فيجذبهم إلى دين الإسلام بتعامُله الحسن وخُلقه القويم وغني عن البيان أن دور التجار في هذه المنطقة لم يقتصر على التجارة والمناشط الاقتصادية فحسب بل قاموا بنشر اللغة العربية وبناء المساجد والمدارس لتعليم القران الكريم وهكذا أضحى التجار يقومون بمهمة الدعوة للإسلام إلى جانب نشاطهم التجاري فحملوا العقيدة الإسلامية والحضارة العربية وكان من نتائج احتكاكهم واختلاطهم بأهالي تلك البلاد أن حدث التزاوج والمصاهرة مع عديد من الأسر المحلية بالمنطقة مما أدي إلى انتشار الإسلام . واللغة العربية . تدريجياً وسلمياً في تلك المناطق وبالإضافة إلى دور التجار فان طُرق القوافل التجارية والمراكز التي أُنشأت على مساراتها، وفي بداياتها ونهايتها قد صارت شرياناً أساسياً للحياة الاقتصادية ومراكز للإشعاع الثقافي وأماكن لاحتكاك الأفكار أثراً وتأثراً وقد استقرت مجموعة من التجار في المراكز التجارية المنتشرة على طريق القوافل وأقاموا بين الأهالي يمارسون شعائرهم الدينية وبذلك لم يعد من السهل وضع حدٍ فاصل بين الدور الذي قام به هؤلاء التجار والدور الذي قام به الدعاة غالباً ما كان هذان الدوران يجتمعان في رجلٍ واحدٍ ألا وهُو التاجر المسلم٦٨

ثامناً : كثرة المتحدثين باللغة :

لا شك أنه كلما كثُر عدد المتحدثين باللغة ترتب على ذلك قوة تأثير اللغة على المجتمع لكثرة المتحدثين بها وإقبال الآخرين للتحدث بها للتواصل مع هذه الكثرة التي تتحدثها٦٩

إسهامات العلماء التشاديين في الثقافة العربية

إن تراث أي أُمة وحضارتها يُقَدَّر ويُقيَّم بقدر ما تركت من مؤلفات وكتابات والعلماء هم الثروة الحقيقية لكل أمة وهم الذين يُبَصِّرون الأُمم والشعوب ويرسمون لها الطريق السوي وقد ظهر في - تشاد - مجموعة والعلماء - والأدباء - وسنتناول بعض العلماء البارزين الذين أسهموا في الثقافة العربية وتركوا لنا شيئاً من تراثهم العلمي وهم في جملتهم كثيرون ولكن الذين سنُعنى بدراستهم ما هم إلا نماذج توافرت لنا بعض المعلومات عنهم وعن نشاطهم العلمي وتراثهم الثقافي، وربما يعود السبب في ذلك إلى ضياع كتاباتهم وما كُتب عنهم، ولم نجد مؤلفات خاصة تتناول حياتهم العلمية بخلاف ما هو في بلاد المشرق الإسلامي التي اهتمت بتسجيل تواريخ علمائها في شتى مجالات المعرفة ٧٠ وعن ضياع التراث العلمي للعلماء - التشاديين - ومصنفاتهم في شتى فنون العلوم الإسلامية فقد ضاع معظمه خلال الحروب الداخلية مثل الفتح الفلاني لبلاد الهوسا والصراع بين رابح والمملك القائمة والصراع بين كانم وأهل برنو في القرن التاسع عشر الميلادي - والصراع بين كانم والبِلالا والصراع بين ودَّاي وباقرمي- وخلال حركات الصراع الوطني التشادي ضد الاستعمار كما نالت منه يد الدهر وعوادي الطبيعة والإنسان، إلا أن ما بقي أو نجا من هذه المصنفات التشادية العربية ربَّما غير كاف لدراسة المنطقة في جوانبها المختلفة، إلا إذا قامت هيئة بجمع شتات هذا التراث من قصور الملوك والسلاطين وبيوت العلماء والأعيان والدول المجاورة واسترداد ما نقله الاستعمار إلى المتاحف والمكتبات الأوربية لجمعه وتصنيفه وتحقيقه ٧١ وبصفة عامة فإن دراسة إسهامات العلماء الأفارقة - عامة - والتشاديين خاصة متشعبة ومتعددة الجوانب لذا يكتفي البحثُ بالإشارة لأهم هؤلاء العلماء عبر تلك المخطوطات التي تركوها كمستودع للتراث الإسلامي والحضارة العربية . فقد أسهموا في التأصيل للدعوة الإسلامية وتثبيت غرسها في التُربة التشادية وتأمين استمراريتها وهكذا شاركوا في تطور الحضارة العربية والإسلامية ولازالوا ! - ففي تشاد تنتشر الآلاف من حلقات القرءان الكريم التي خرَّجت الالآف من حفظة كتاب الله ومئات المدارس- كما أن المخطوطات التشادية التي مرَّ عليها مئات السنين هي أساساً وثائق إسلامية في المقام الأول إلا أنها عربية أو كُتبت بالحرف العربي على أقل تقدير ٧٢

ففي مجال اللغة العربية قَرَضَ التشاديون الشعر العربي منذ أكثر من ٧٠٠ سنة - على أقل تقدير - لأن الجذور الأصيلة - التي وصلتنا - للشعر العربي في تشاد ترجع إلى النصف الثاني من القرن السادس الهجري منذ أن ظهر الشعر في هذا الزمان المترامي الأطراف، على يد الشاعر إبراهيم الكانمي الملقب بالشاعر الأسود٧٣ المتوفى في سنة ثماني أو تسع وست مئة وله أشعار تصطبغ بالإسلام والعروبة ومن ذلك قوله عن أصله:

إنّي وإن ألبستني العُجمُ حُلَّتها
فقد نَماني إلى ذُكوانها مُضـــر
فلا يَسُؤكَ من الأغماد حالُكها
إن كان باطِنُها الصَّمْصَامَةُ الذَّكرُ٧٤

وقال في الموت :

أفي الموت شك يا أَخي وهو بُرهان
ففيم هُجوعُ الخلق والموتُ يقظـــانُ
أتسلُو سُلوَّ الطير تلقط حبَّـــها
وفي الأرض أَشْراك وفي الجَوِّ عُقْبـــانُ٧٥

إن الإسلام في تشاد أفرز العديد من العلماء والشعراء وقادة الفكر مشكاة الأمة وصُناع الحضارة٧٦ ومعظم النتاج الشعري للشعراء التشاديين عبارة عن مخطوطات لم يُجمع في ديوان اللهم إلا قِلة من رُواد الشعر التشادي الذين قاموا أو قام غيرهم بطبع إبداعاتهم كنونية الشيخ عبد الحق السنوسي، وديوان نبضات أُمتي للشاعر حسب الله مهدي فضلة وديوان أصداء النفس لمحمد عمر الفال، والملحمة الإسلامية كشف المطمورة عن أبيات مغمورة في نجوى نور المعمورة وديوان حذو ما قالت حزام لعيسى عبد الله٧٧ وديوان الملامح لعباس محمد عبد الواحد، ونُونية عبد القادر محمد أبه صاحب إعصار في فؤاد٧٨، وديوان الأعمدة لموسى شاري والدرر الهجائية في الصلوات على خير البرية لمحمد جرمة خاطر (أبو الأنوار) وقصائد سقوط الأقنعة لأحمد جابر وهي من قصائد النثر٧٩، وأشهر الشعراء الشيوخ : الطاهر بن التلبي وأحمد طبيك، ومحمد عليش عووضه، وأحمد البرعي، وأحمد عبد الله بركه، وآدم محمد الأمين ((دين كله)) وغيرهم٨٠ أما العلماء فكُثر ونكتفي بذكر - نماذج منهم :

١- محمد بن مانيٌ الذي أسلم على يديه السلطان أُومِي جَلَمِي (١٠٩٧-١٠٨٦م) و بإسلامه أصبح قصرُه مدرسةً للعلم و بانتقال الإسلام من المستوى الشعبي إلي المستوى الرسمي تبني سلاطين كانم الشريعة

الإسلامية في كافة جوانب الحياة الاقتصادية و السياسية و الإدارية والاجتماعية و أصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية للدولة ولغة المكاتبات الدبلوماسية والتدريس حيث شجع السلاطين العلماء و منحوهم كثيراً من الامتيازات بمراسيم رسمية.

٢ - الإمام عبد الله دَكِي بن يَكورُو، ممن تعلموا على يديه السلطان نجالما دوكو الذي حكم في الفترة ما بين عامي ١١٩٦-١٢٢١ م ويقال إن هذا العالم درَّس للسلطان مائة وخمسين كتاباً من الكتب الإسلامية ٨١

٣- عمر بن عثمان،المشهور بماسبارما (MASBARMA) الذي أورده المستشرق الألماني بالمر(PALMER) في كتابه تاريخ البرنو والسودان، وأورد فيه قصة هذا العالم٨٢ في زمن السلطان على بن إدريس الذي حكم في الفترة ما بين عامي ١٥٤٥-١٥٤٦.

٤ ـ محمد البكري الكانمي : هو الشيخ العلاَّمة المُتَفنن الفهَّامة شيخ الشيوخ ذو الفهم والرُّسوخ، الشيخ محمد البكري أخذ العربية و البلاغة في مدينة (جندوت) ببلاد الهوسا ثم عاد إلي كانم و تصدر العمل بالتعليم و بعد فترة انتقل إلي الشيخ النجيب التكداوي للاستزادة من العلم وظل يمارس التدريس بمملكة كانم إلي أن توفي عام ٩٠٥هـ، و من تلاميذه الشيخ النجيب محمد بن سليمان الفولاني الأصل الباقرمي الموطن، و الشيخ الطاهر بن إبراهيم الفولاني و الشيخ بن أجروم الباروكوم .

٥ ـ أبوبكر الباركوم: هو الشيخ أبو بكر الطاهر بن إبراهيم الباركوم من علماء كانم، كان عالماً بالمنقول والمعقول، صالحاً تقياً ورعاً نشأ بمنطقة تدعى (بذات البقر) و تنقل بين مُدن غرب أفريقيا طلباً للعلم، تتلمذ علي يد الشيخ البكري آنف الذكر مارس التدريس والتوجيه و من مؤلفاته - كتاب الدُّرر اللَّوامع و مَنار الجَوامع في علم التّصريف و نظمه على الحِكم و نظمه على السنوسية الكُبرى و شرح السنوسية و له عدة قصائد في تصحيح الأمَراء و الحُكَّام ، استقدمه أحد سلاطين كانم إلي قصره واسكنه بجواره و بني له داراً ووهَّبه أرضاً يعيش من ريعها.

٦ـ أحمد بن فُرْتُوَا: هو مؤرخ البلاط في عهد السلطان إدريس أُلُّومَا (١٥٧٠-١٦٠٣م) توفي عام ١٥٨٣ اهتم بالكتابة في الجانب الحربي و سجَّل بدقة الغزوات الحربية لأعظم سلاطين كانم برنو و هو إدريس أُلُّوما، و أفرد لذلك كتاباً غطَّى فترة الإثني عشر سنة الأولى من عهد السلطان إدريس الُّومَا و له كتاب آخر بعنوان (الحرب بين كانم و قبائل البِلالا) و قد تَرجم هذين الكتابين إلي الانجليزية المستشرق الانجليزي ريتشمون بالمر و نشرهما عام ١٩٢٦م و الكتابان من أهم المصادر التاريخية في تاريخ كانم الإسلامي.

٧ـ عبد الكريم جامع عبد القادر الملقب بمجدد الإسلام - لم تصلنا مؤلفاته ولكنه ترك اثاراً واضحة في النهضة العلمية والصحوة الدينية - ومن أهم العلماء الذين أسهموا معه في نشر الإسلام واللغة العربية الشيخ أبو مالك، والشيخ علي دينار، والشيخ حنفي، والشيخ ديدح، والشيخ أبو درك الترس وغيرهم.٨٣ - بل كل هؤلاء نشروا القرآن الكريم والحديث والفقه والتفسير والنحو-

٨ ـ محمد الوالي بن سليمان، يصفه محمد بلو صاحب كتاب إنفاق الميسور بأُعجوبة الزمان وطريفة الأوان العالم العلامة الزاهد الورع الفهامة. تبَحَّر في العديد من العلوم الشرعية و له باع طويل في الشعر تتلمذ على الشيخ البكري آنف الذكر و قد ألف كُتباً عديدة تدل على غزارة علمه ومن مؤلفاته الأصول المهمة في علوم جمة حيث جمع فيها خلاصة عدد من الفنون مثل أصول الدين وعلم التفسير وعلم أصول الفقه وعلم الفرائض وعلم النحو وعلم الصرف وعلم الخط وعلم البيان والمعاني والبديع وعلم التشريع الإسلامي وعلم الطب وعلم التصوف، طبعت مع شرحها المسمى : تمام الدراية بفاس عام ١٣٠٢ هـ ومن مؤلفاته معين الطالب ومفيد الراغب وهو شرح للتحفة الوردية للعلامة بن الوردي، ومن مؤلفاته سُلَّم الطلاب لمن يروم كتب الإعراب و كتاب " الدراسة لقراءة النقاية " بجانب قصائد شعرية في التصوف و النصح و الإرشاد، و قد جاء ت نونيته في النصح ومنها :

أُوصيكمُ يا مَعشرَ الإخوانِ

عليكم بطاعةِ الدَّيـــانِ

و إنَّما غنيمةُ الإنســـان

شبَابُه و الخُسر في التوان

و قد دُفن كل من الشيخ محمد الوالي ووالده الشيخ سليمان في (أبقار) التابعة لمملكة باقرمي.

٩- الشيخ عمر ولديدة : تعودُ أُصوله إلي منطقة (بيدري) لمملكة باقرمي و هنالك من يرى أنه ولد في برنو عام ٩٣٩هـ و بعد قراءة القرءان خرج في طلب العلم إلى موريتانيا ثم انتقل إلي تمبكتو و نبغ في العلوم الدينية ثم رجع و استقر في باقرمي واجتمع بالشيخ حسن بن الجرمي المشهور(بولي الجرمي) و أَخذا يدعوان للإسلام، توفي عام ١٠٠٢هـ في بيدري التابعة لمملكة باقرمي |، وهو الجد الأعلى للزعيم النيجيري أحمدُو بيلو ويُذكر أن للشيخ ولديد مؤلفات كثيرة إلا أننا لم نعثر على شيء منها، و ترك تلاميذاً نُجباء حملوا راية الدعوة إلي الإسلام من بعده٨٤

١٠ - الشيخ سليمان بن محمد عمر المعروف بالباقرمي ألَّف مجموعة من الكتب الشهيرة أهمها التجريد لنفع العبيد وتحفة العبيد على شرح الخطيب في أربعة مجلدات توفي رحمه الله بالقاهرة عام ١٨٥٦ م.

١٢ - الإمام جزولي حبيب : من العلماء الأجلاء - بمملكة واداي - حفظ القران عند والده حبيب، ثم تنقل ببعض مدارس العلم ثم هاجر إلي مدينة فاس ودرس في جامع القرويين بالمغرب ثم جامع الزيتونة بتونس كما فعل والده من قبل و تخرج فيها بتفوق في جميع العلوم الشرعية كالفقه المالكي و التفسير و الحديث و التوحيد و علوم البلاغة ثم عاد إلي أَبَّشه و جلس للتدريس و نشر التعاليم الإسلامية و عُين إماماً للجامع الكبير ومستشاراً للسلطان و شيخاً للعلماء كان رجلاً تقياً ورعاً عالماً عاملاً بعلمه صالحاً عادلاً صادقاً نشيط إلي أن وافته المنية.

١٣- الشيخ عبد الحق السنوسي: ولد الشيخ عبد الحق السنوسي عام ١٨٥٣م بقرية ترجم التابعة لمدينة ابَّشَه في أُسرة مشهود لها بالعلم فقد درس جدُّه يعقوب أبو كُويسة بالمغرب و جدُّه إدريس والد يعقوب درس في الأزهر الشريف و من شيوخه الباجوري، نشأ الشيخ عبد الحق و ترعرع في هذه البيئة العلمية وتعلم القران والعلوم الشرعية من والده و بَذَّ نُظراءه في المناظرات، درس الفقه عن جده الوالي والشيخ الجزولي و الشيخ أبي راس بمنواشي ثم سافر إلي الأزهر و بعد تخرجه زار الأراضي المقدسة ثم عاد إلي بلاده في عهد السلطان يوسف (١٨٧٤- ١٨٩٩م)٨٥ ترك الشيخ عبد الحق عدداً من الآثار العلمية شعراً ونثراً، ضاع أكثرها ومن هذه الآثار: كتاب تبصرة الحيران من هول فتن الزمان، وهو في الرد على مسائل محددة واجهت مملكة واداي وخاصة حول موقف السلطنة من المهدي إلى جانب بعض القضايا التي كانت تشغل بال المسلمين في مملكة واداي حينئذ وقد حقق الكتاب الدكتور محمد صالح أيوب ونال به درجة الدكتواره ونُشر عن طريق جمعية الدعوة الإسلامية في ليبيا، كتاب تاريخ دولة ودَّاي الإسلامية وفيه يسرد الحياة الاجتماعية لسكان واداي وسلاطينهم، وربما كان هو الكتاب الذي ذكره الشيخ إبراهيم صالح باسم تاريخ بلاد واداي وذكر أنه رأى قطعة منه، رسالة الكنز المدخر وهي عبارة عن أدعية لتوجيه الجنود من أجل الانتصار على الأعداء، وإلى جانب هذه المؤلفات ترك الشيخ عبد الحق عدداً من الأعمال الشعرية والمنظومات بعضها ضاع وبقي بعضها الآخر شاهداً على مكانته في الشعر التشادي ، والأعمال هي : ديوان في المدائح النبوية، أورده الشيخ مكي عبدالله التجاني وذكر أنه ديوان كبير، اغتاله الفرنسيون ضمن أكثر من ٤٠٠ عالم في مذبحة الكُبكُب عام ١٩١٧ بمملكة واداي٨٦.

١٤ - محمد عليش عووضة: من أهم الآثار العلمية التي تركها الشيخ محمد عليش عووضه للأمة الإسلامية ثلاثة مؤلفات هي : كتاب (الأسلوب الجديد في النحو المفيد) الذي بدأ تأليفه عام ١٩٥٥م وأكمله عام ١٩٦٣م وظهرت منه الطبعة الأولي عام١٩٦٤م من مطبعة التمدن بالخرطوم، و(الموجز في علم التوحيد) الذي أكمله بأم درمان سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م وطبع بمطبعة التمدن أيضا، و(المنحة الأزهرية في الراجح من مسائل فقه المالكية)، والذي عدل عنوانه إلي (المنحة الأزهرية في فقه المالكية)، بدأ كتاب في تفسير القرآن لكنه لم يكمله٨٧

هؤلاء من أهم العلماء الذي تركوا بصماتهم في الحضارة العربية الإسلامية في تشاد، وبصفة عامة لو ألقينا نظرة على ما تزخر به المكتبات الخاصة والعامة في- تشاد - من كتب التراث العربي الإسلامي، لأخذتنا الدهشة من كثرة ما عرفته هذه المنطقة من أسماء العلماء والأدباء والشعراء والمؤرخين والكتاب الذين لم يعرفوا لغةً للثقافة والعلم سوى العربية وأمامنا من المؤلفات التي لم تُطبع وتُنشر ما يقدم لنا الدليل الذي لا يقبل الجدال على أن اللغة العربية قد عرفت في هذه المنطقة من الازدهار والانتشار ما لا يُنكره إلا من جهِله أو تجاهله! ففي هذه المصادر المعروفة التي أشرنا إليها وفي غيرها من المصادر الأخرى التي لم نشر إليها نجد أسماء لكبار العلماء والشعراء والكتاب الذين لا يقل نبوغهم في العربية عن نظرائهم في بقية أقطار العالم الإسلامي وإنما حظُّ هذه المنطقة السيئ جعل تراثها العربي الإسلامي مُهمَلاً ولم يُخدم الخدمة التي تُظهره وتعرِّفه بما فيه الكفاية٨٨،

هكذا انتشرت الثقافة الإسلامية بتشاد و قويت جذورها من خلال العوامل التي أتينا على ذكرها الأمر الذي أسهم في أن تسود الحضارة والقيم الإسلامية منطقة بحيرة تشاد و سلطناتها قبل مجيء الاستعمار الفرنسي بحضارته الغربية.

أولاً: النتائج

- اتضح بما لا يدع مجالاً للشك قدم وجود اللغة العربية وانتشارها في تشاد، وأنها من أهم مكونات الهوية الشادية.
- أثرت هجرات القبائل العربية على تركيبة المجتمع التشادي عبر اندماجهم مع السكان الأصليين.
- حاول الاستعمار الفرنسي طمس هوية تشاد العربية الإسلامية لكنه لم يفلح.
- اثبت البحث جهود ملوك الممالك التشادية ورؤساء الجمهورية في دعم اللغة العربية.
- اتضح من خلال البحث دور التجار المسلمين والدعاة والبعثات العلمية وقوافل الحج في نشر الثقافة العربية الإسلامية.

ثانياً : التوصيات

- على الدول والحكومات والمؤسسات العربية دعم التعليم العربي بكل مراحله الابتدائي والثانوي والعالي.
- فتح فرص تعليمية مجانية للجاليات التشادية في جميع مؤسسات التعليم في الدول العربية .
- على مؤسسات البحث العلمي وخاصة جامعة الملك فيصل بتشاد الاهتمام بكتب التراث العربي الإسلامي للتشادي وجمع شتاته من قصور الملوك والسلاطين وبيوت العلماء والأعيان والدول المجاورة واسترداد ما نقله الاستعمار إلى المتاحف والمكتبات الأوربية لجمعه وتصنيفه وتحقيقه ونشره.
- السعي لانضمام تشاد لجامعة الدول العربية

المصادر والمراجع

١-هي أول مملكة قامت في المنطقة وبسطت سيطرتها ونفوذها السياسي والثقافي والاقتصادي على ما يعرف بالسودان الأوسط في الفترة ما بين ٨٠٠- ١٨٩٤، وهي أول مملكة اعتنق ملوكها الإسلام في المنطقة.، انظر :د موسى بن يوسف بن عيسى بن إدريس :تحديات وتجليات الدعوة الإسلامية في أفريقيا، تشاد نموذجا، المؤتمر الدولي الإسلام في أفريقيا ،٢٦-٢٧ نوفمبر/٦-٧ ذو القعدة ١٤٢٧، الكتاب الثالث عشر، ص ٢١٣.

-٢ د عبد الرحمن عمر الماحي :تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال(١٨٩٤-١٩٦٠)الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣، ص١٦، ١٣

٣- آدم أديبايو سراج الدين: المؤلفات العربية الكانمية البرنوية بين الأدب والتاريخ، مجلة دراسات إفريقية، العدد ٤٧، ص ٥

-٤ فضل كلود الدكو : الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم من ٦٠٠—١٠٠٠/١٢٠٠—١٦٠٠، منشورات كلية الدعوة الإسلامية،ط الأولى ١٩٩٨، ص ١٦١

-٥ قامت على يد عبد الكريم جامع عام١٦١٢ وسقطت على يد الاستعمار الفرنسي عام ١٩٠٩.

-٦ مملكة باقرمي قامت في الفترة ما بين ١٥١٢-١٨٩٣.أيضا سقوطها كان على يد الاستعمار الفرنسي

٧- محمد مدني فضل :الأبعاد الحضارية للمالك الإسلامية التشادية، www.islam٤africa.net، موقع متخصص في قضايا الإسلام في أفريقيا السبت١٣ ربيع الثاني١٤٣٧هـ الموافق ٢٣ يناير٢٠١٦. أيضا انظر أيضا موقع جامعة أفريقيا العالمية African-stedies،www.iua.edu.sd دراسات افريقية العدد ٣٧

٨- محمد صالح أيوب :المثقفون باللغة العربية في تشاد المعاصرة ومشكلاتهم وآفاقهم المستقبلية، بحث قدم في المؤتمر الجامع الثاني حول وضع اللغة العربية في تشاد ، أنجمينا في الفترة ما بين ١٤-١٥ نوفمبر ٢٠٠٩ ص ٢٢

٩-عبد الله بخيت صالح :تاريخ التعليم العربي النظامي في تشاد ط الأولى ٢٠١٢ /١٤٣٣ هـ بورصة الكتب القاهرة،ص٤٢-٤٣

١٠-المرجع نفسه، ص ١٨٩-١٩٠

١١-أحمد عبد الرحمن سماعين : واقع اللغة العربية في تشاد بين التحديات والآفاق المستقبلية، المؤتمر الجامع الثالث حول وضع اللغة العربية في تشاد.ص ١

١٢-عبد الله بخيت صالح : المرجع الأسبق، ص٤٢

١٣- اهتمت فرنسا بتعليم أبناءها اللغة العربية لأنها لغة الدين الذي تقوم عليه الدولة العثمانية وتدافع عنه إضافة إلى كون اللغة العربية لغة حضارة عريقة ذات اثر كبير في العصر الأوروبي الوسيط، ومن اجل تخريج المترجمين أسس كولبير Colbert الوزير الفرنسي المشهور .زمن لويس الرابع عشر، مدرسة فتيان اللغات (Jeans de Langues) التي كان لها مركزان في الدولة العثمانية في أحدهما بيرا PERA قرب استانبول والثاني في إزمير (SMYRNE) وهي ميناء يطل على بحر إيجة وكانت اللغة العربية في المرتبة الثانية بعد اللغة التركية في عهد لويس الرابع عشر، وفي عهد الثورة الفرنسية أسست مدرسة اللغات الشرقية وكان على رأس هذه اللغات اللغة العربية ثم التركية ثم الفارسية فهذه اللغة بدا تدريسها في مدرسة اللغات الشرقية بباريس عام ١٧٩٥م ١ انظر : د محمود المقداد تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، سلسة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت،الكتاب رقم ١٦٧ نوفمبر ١٩٩٢ ص٤١،٢٤

١٤- د محمد صالح أيوب :المرجع الأسبق، ص٩

١٥ بشير عربي بشير : المرجع نفسه، ص٢٨٣-٢٨٥

١٦- د. عبد الله حمدنا الله عبد الله : الشعر التشادي في مرحلة الانتباه، مجلة دراسات افريقية العدد٣٨،انظر موقع جامعة أفريقيا العالمية، يوم ٢٣ يناير ٢٠١٦ .www.iua.edu.sd،african-stedies.

١٧ -عبد السلام أبو سعد : العلاقات الثقافية بين الشعوب الأفريقية واثر الإسلام واللغة العربية في ترسيخها، ط الأولى ١٩٩٩ ،منشورات كية الدعوة الإسلامية،ص ٢٨

١٨- محمد صالح أيوب :المرجع الأسبق، ص٢٠-٢١

٩١-عيدي عكاري: فرنسي من أصل أفغاني وأم لبنانية،مسيحي كان يجيد العربية والفرنسية والانجليزية،وهو أول مدير للتعليم العربي في تشاد

١٩٦١-١٩٦٣ وهو الذي حذف التربية الإسلامية من المقرر التشادي، وبتوصية من هذا الرجل بعث تومبل باي أبناءه وبعض أقاربه إلى لبنان لتعلم اللغة العربية والفرنسية، وخلف عيدي عكاري في إدارة التعليم العربي إبراهيم خليل حسين (المشهور بعبد الرحمن فوكس) انظر عبد الله بخيت ص١٩٢، ٣٨

٢٠ -المرجع نفسه، ص٣٨

٢١-BECHIR ASSAMANI :LA QUESTION DU BILINGUISME، UNE GUERRE CULTURELLE ، TCHAD CONFLIT NORD SUD MYTHE UO REALITE ? CANTRE CULTURELLE ALMOUNA ، SEPIA ١٩٩٦ ، P: P١٢٠

٢٢ السيد عوض عثمان :التدخل الأجنبي الأمريكي والفرنسي في شمال ووسط أفريقيا مع إشارة خاصة لحلة كل من ليبيا وتشاد، معهد الإنماء العربي، الدراسات الإستراتيجية، ط الأولى ١٩٨٩، هامش ص ٨٠

٢٣ محمد صالح أيوب المرجع نفسه : ص٢٢

٢٤-Ibid. : P١٢٠

٢٥-عبد الله بخيت صالح :المرجع الأسبق، ص٣٨

٢٦-المرجع نفسه، ص٣٨

٢٧- Ibid: P١٢٠،٣٨

٢٨-هي أول جامعة أسست في تشاد، وكان تأسيسها عام ١٩٧١، غُيِّر اسمها إلى جامعة أنجمينا في العام الجامعي ١٩٩٣-١٩٩٤

٢٩ -عبد الله بخيت صالح :ص٣٨

٣٠- محمد صالح أيوب : ص٢٢

٣١- د المرجع نفسه، ص١٧

٣٢- د شكري فيصل في القرن الأول نشأتها مقوماتها تطورها اللغوي والأدبي، دار العلم للملايين ط الخامسة بيروت لبنان، يوليو١٩٨١، ص ٢٤

٣٣- د عبده بدوي الشعر العربي في السودان، سلسلة عالم المعرفة، الكتاب رقم ٤١ ص ٧

٣٤- محمد عمر الفال : الهجرات العربية إلى منطقة حوض بحيرة تشاد قبل الإسلام، ندوة علمية دولية بعنوان : اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، نُظمت من قبل جامعة الملك فيصل في تشاد ورابطة الجامعات الإسلامية، في الفترة ما بين ٢١ - ٢٥ يناير ٢٠٠١ ص ١٢٥

٣٥- د شكري فيصل : المرجع نفسه، ص ٢٤

٣٦- د محمود المقداد : مرجع سابق، ص٥ ٦

٣٧- سيدي محمد ولد محمد عبد الله : دخول الإسلام في تشاد، ندوة اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، في الفترة ما بين ٢١ ـ ٢٥ أي النار (يناير) ٢٠٠١، ط الأولى، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي ليبيا، ص ١١٣

٣٨- د الماحي : الدعوة الإسلامية، ص ٦٦

٣٩- د محمود المقداد :المرجع نفسه، ص٥ ٦

٤٠- الماحي :الدعوة الإسلامية، ص ٦٩

٤١-عبد الحميد بوسماحة : المسير تغريبة بني هلال بين الواقع والخيال، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، العام الجامعي ٢٠٠٤-٢٠٠٥، ص٣٠

٤٢ - محمد رفيع محمد :القبائل البدوية في محافظة البحر الأحمر، دار الرسالة الذهبية، بدون، ص٣٦

٤٣ - د الماحي : الماحي :الدعوة الإسلامية، ص ٦٩

٤٤- يقصد بالسودان الأوسط المنطقة الشاسعة الممتدة من الضفاف الشرقية للنيجر الأوسط حتى الضفاف الغربية للنيل الأبيض، وتضم هذه المنطقة النيجر ونيجيريا وتشاد والكمرون والغابون والكنغو والجزء الغربي لجمهورية السودان. انظر د الماحي : ص ٦٥

٤٥- المرجع نفسه، ص ٦٨،٦٩

٤٦-عبد الحميد بوسماحة : المرجع السابق، ص ٣١

٤٧- صالح محمد تنقو : أضواء على تاريخ السودان من داكار إلى بور سودان، الجزء الأول، شركة مطابع السودان للعملة،٢٠١١، ٢٢٠

٤٨ - محمد أحمد الملقب بالشفيع :التواصل الحضاري العريق بين المناطق الأفريقية الواقعة شمال الصحراء الكبرى وجنوبها ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ا،التي نظمتها كلية الدعوة الإسلامية بليبيا وكلية الآداب بتطوان بالغرب، في الفترة ما بين ١٢ إلى ١٤ مايو ١٩٩٨ ص١٦٧

٤٩- د الماحي الدعوة الإسلامية ص ٦٩

٥٠- عبد السلام أبو سعد : ص ١٨

٥١ - محمد عمر الفال :، ص ١٢٥.

٥٢- محمد رفيع محمد :القبائل البدوية في محافظة البحر الأحمر، دار الرسالة الذهبية،بدون ن ص ١٢

٥٣- د بابكر حسن قدر ماري : كبرى اللغات الأفريقية ودورها في التواصل بين شعوب القارة، ملتقى الجامعات الأفريقية ، بجامعة أفريقيا العالمية، بالخرطوم،ط الأولى، جامعة أفريقيا عام،٢٠٠٦،ص ٤٤

٥٤- عبد السلام أبو سعد : ص ٢٧

٥٥- جميل عيسى الملائكة : اللغة العربية ومكانتها في الثقافة العربية الإسلاميَّة (المرجع السابق): ص ١٢٤، ١٢٥، أمر وجوب اللغة العربية في شعائر الإسلام وفرضيتها في تعلم القرآن الكريم وتعليمه ليس على إطلاقه وإنَّما لفقهاء الإسلام في ذلك تفصيلات وأقوال متفاوتة لا يتسع مجال البحث هنا لذكرها، وإنَّما الاكتفاء بالقول أن الإسلام قد حثَّ على أن تكون اللغة العربية هي لغة العبادة والدعاء والشعائر الدينية في الإسلام ما بين واجب كقراءة الفاتحة في الصلاة وهو ما عليه جمهور الفقهاء ثُمَّ يتدرج الحكم بعد ذلك إلى الندب والاستحباب، انظر: الشافعي : الرسالة، ص ٤٨، ٤٩، تحقيق: أحمد شاكر، (مرجع سابق).

٥٦ - د. عمر عبد الفتاح واقع اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء، ص ١

٥٧ - عبد السلام أبو سعد : ص ٢٨

٥٨- المرجع نفسه : ص ٢٥

٥٩- غي جيريمي انغانسوب : تشاد عشرون عاماً من الأزمة، ترجمة: سامي عيسى عبد الله عثمان، ترجمة لمتطلبات بحث تكميلي لنيل درجة ماجستير، رسالة غير منشورة في الآداب، كلية الآداب وحدة الترجمة والتعريب جامعة الخرطوم، اكتوبر٢٠٠٣، ص ١٥

٦٠- د محمد مدني فضل: رسمية اللغة العربية في تشاد الأسس والمرتكزات، مجلة دراسات افريقية العدد٥٤ السنة٣١ ديسمبر٢٠١٥/ ربيع الأول ١٤٣٧هـ، ص٦٩

٦١-عبد العزيز بن راشد العبيدي : انتشار الإسلام في إقليم الكانم ، مجلة دراسات افريقية،العدد ٤٦، ص ٢١

٦٢ - محمد مدني فضل : الأبعاد الحضارية للمالك الإسلامية التشادية:نفس المرجع والصفحة.

٦٣ - عبد السلام أبو سعد : ص ٣١

٦٤- مطر سعيد غيث أحمد :الثقافة العربية الإسلامية وآثارها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العشر والحادي عشر الميلادي، السادس عشر والسابع عشر للميلاد، رسالة دكتوراه غير منشورة،جامعة القاهرة معهد البحوث والدراسات الإفريقية، قسم التاريخ عام ٢٠٠٣، ص ١٢٠

٦٥- مطر سعيد غيث أحمد : ص ١٠٨.

٦٦ - فضل كلود الدكو : ١٣٦

٦٧- مطر سعيد : ص ١٢٣- ١٢٤

٦٨ - المرجع نفسه : ص ١١٢-١١٤.

٦٩ - د. بابكر حسن قدر ماري : ص ٢٣.

٧٠- د محمد الأمين أبه الأبقاري : الحضارة الإسلامية في مملكة باقرمي، شركة مطابع المقاولون العرب، القاهرة، مصر، ط الأولى ٢٠١٢م الموافق١٤٣٣ هـ، ص١٥٧

٧١-آدم أديبايو سراج الدين : ص ٥ بتصرف.

٧٢ -منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية،الخرطوم ٢٨-٣٠ يوليو متموز١٩٨٣ بالاشتراك مع جامعة أم درمان الإسلامية، ص ١٣٩، ١٣٥ بتصرف

٧٣ - هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن شكلة الذكواني الكانمي، من قرية بلمة بمملكة كانم (بتشاد)، وكان لونه غربيباً وأمره غريباً،قدم على المغرب قبل الستمائة،وسكن مراكش،وأقرأ بها الآداب، ودخل الأندلس، انظر ابن الآبار :تحفة القادم،مصدر الكتاب الوراق، Islamport.com/d/1/trj/٢٧٥١/١١٩/١/.html يوم الجمعة ٢٩ يناير ٢٠١٦ الساعة ٢و٢١ دقيقة بتوقيت تشاد.

٧٤-المصدر نفسه.

٧٥ - محمد فوزي مصطفى : الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي، ط الأولى، الزهور للطباعة والنشر، دكرنس، الدقهلية، ٢٠٠٢-٢٠٠٣، ص خ

٧٦ - محمد فوزي مصطفى : المرجع نفسه، ص (د)

٧٧ - المرجع نفسه : ص هـ

٧٨-المرجع نفسه : ص ظ

٧٩ -آدم يوسف موسى : في الأدب التشادي الحديث (١٩٦٠-٢٠١٢)، ص ١٥-١٦

٨٠- د عبد الله حمدنا الله :مرحلة الانتباه في الشعر التشادي ص ٢

٨١ - فضل كلود الدكو : ص ١٦٠

٨٢- وخلاصتها إن السلطان علي بن إدريس سمع بأمر العالم عمر بن عثمان، ونبوغه وتضلعه في العلوم الإسلامية، فأرسل في طلبه من بلدته التي تسمى(ديف) ولما حضر ومثل إمام السلطان أعجب به فجعله إماماً لمسجده في القصر ليصلي به مع حاشيته وأهل بيته وليعلم ويؤدب أبناءه وينشئهم على أسس الدين القويم، للمزيد انظر كلود مرجع سبق ص ١٦٠-١٦١

٨٣- الصادق أحمد ادم :المؤثرات الإسلامية في مملكة وداي، في الفترة ما بين ١٠٣٠-١١٠٠ هـ /١٦١٥ -١٧٠٧،دراسة اجتماعية ثقافية اقتصادية، رسالة دكتوراه غير منشورة، في التاريخ، جامعة أفريقيا العالمية، عمادة الدراسات العليا، كلية الآداب قسم التاريخ، العام الجامعي ٢٠١٥، ص ١٦٣.

٨٤- بشير عربي بشير :، ص١٧٣-١٧٦ ،أيضا انظر : د. محمد الأمين الأبقاري : ص ١٥٨.١٦١

٨٥- بشر عربي : ص ٢٧٦-٢٧٧.

٨٦- توفي الشيخ عبد الحق شهيداً في مذبحة الكُبكُب (الساطور) عام ١٩١٧م حيث قتل الفرنسيون جماعة من العلماء تتراوح المصادر في أعدادهم، حيث تصل بهم المصادر الفرنسية إلى بضعة أفراد، بينما تصل بهم المصادر الفرنسية إلى بضعة أفراد، بينما تصل بهم المصادر المحلية إلى المئات، لكن من المؤكد أن هذه المذبحة قد أدت إلى تفريغ أبشه ثقافيا حيث هاجر من بقي من العلماء إلى السودان وآثر بعضهم الصمت. : د عبد الله حمدنا الله عبد الله : المرجع نفسه.

٨٧- بشير عربي : ص ٢٩٣-٢٩٤

٨٨- د عبد العلي الودغيري : ندوة اللغة العربية إلى أين ؟ : اللغة العربية في منطقة جنوب الصحراء،الماضي والحاضر والمستقبل، بتصرف، موقع جامعة أُم القرى في الانترنت، يوم ٢٦ يناير ٢٠١٦:

uqu.edu.sa/page/ar/١٤٨٣٦٠